المقدمة

كلمة جذابة هي السعادة! نطلبها نتوق إليها، نبحث عنها في الصخب، في الوحدة، نقلب الصفحات في الأساطير، في سير العظماء، في حياة المشاهير، في الطرقات وعلى وجوه المارة، وبين المتسولين، نبحث عنها في كل نبرة، وكل دمعة، نبحث في الكتب وفي الدراسات؛ فنجدها تغرق بين موجات هذا العنف المدمر القاتل، وفي وحول الأنانية والجشع والعبودية والعنصرية...!

سنوات وأنا أبحث وأدقق في أقوال الحكماء، وأمعن النظر في تاريخ البشر، فأيقنت أن السعادة باتت اليوم مستبعدة منفية، مهشمة الملامح ؛ نحن من هشم ملامحها، من أبعدها، لتصبح من الماضي ذكريات، وللمستقبل أمنيات؛ لأن السعادة لا تطيق البقاء حيث الحروب والخوف والتمرد والاحتلال والبغاء، حيث هذه الصفوف الطويلة من الجائعين بانتظار وجبة غذاء... السعادة لا تتناغم مع الصخب والنميمة، مع أضاليل التعصب والقيود، ومع عادات واهية تلاشت منذ عهود.

أحلامنا تضاءلت؛ الإنسانية باتت من الأحلام! والأحلام تحولت إلى كوابيس! كوابيس هذا الواقع المحموم القاتم. كلنا نرزح تحت نير العبودية؛ عبودية المال والسلطة وتصديق الإشاعات...!

الحياة ومضة! هل نتخلى عنها؟ من أجل ماذا؟ من أجل أشخاص لا يهتمون لوجودنا! من أجل سماسرة لا يعنيهم غير ما لدينا من مقتنيات!

بالرغم من أن هؤلاء القتلة تركونا نغرق في التشاؤم، ورغم هذه الفوضى السائدة والواقع المتردي لم تفقد السعادة إشعاعها ولا جاذبيتها، ولم تزل خشبة الخلاص التي ستنقذ الإنسان المعاصر الحائر الخائف من الحروب ومن المستقبل المظلم، ومازالت الوهج الذي سيقضي على الكآبة الخانقة.

لنتحدث عن السعادة، لنهيم في معانيها؛لا نريد كلمات بكاء أو رثاء على سعادةٍ تغادرنا؛ لطالما تحدثنا في أشعارنا عن الحب، عن الفرح، لطالما نسجنا من خيالنا أمنيات، أحلامنا آن لها أن تتحقق، وأن لا تبقى مجرد أمنيات ورغبات. الكل يأتي بقوانينه في هذه الحياة، والناس تغرق وتغرق في دوامة فوضى الرغبات، وتتدحرج مع تيار التفاهات، وتغرق في وحول الكماليات، ولا تنتبه للتفاصيل المهمة التي توجهنا نحو بهجة الحياة. لنا رغبات جمة وربما مهمة وننتظر! وماذا ننتظر؟ وما قيمة الانتظار لمستقبل لا نعرفه ولا ندركه! يكفينا الحاضر لنبتهج بما لدينا، نفتش عن المعرفة خارج الكوكب، وأي معرفة هذه غير الغموض ! كيف لنا أن نكتشف حقيقة وجودنا أو سعادتنا من حيث لا وجود، نفتش عن سعادتنا خارج الكوكب ولا نفتش عن إنسانيتنا، عن فطرتنا المجبولة بالخير، نحن لا نعرف من الظواهر إلا ما يظهر على السطح، نُدين نستنكر كل ما هو شائن وعنيف، نمقت حالات الغضب، ولا نعرف إطلاقاً من أين تنبع هذه الانفعالات. لا أحد يحاول أن يتحرر من هذا القلق القاتل، وهذا الظلام الذي تحكمه شياطين الأوهام. آن لنا أن نبحث عن معنى الإنسان، عن إنسانيتنا عن سر وجودنا، آن لنا أن نعثر على جواهرنا المفقودة – وإن كان بعضها قد فسد – فالمواسم الآتية مثقلة بالروعة، روعتك أيها الإنسان.

لنفتش عن السعادة وسنجدها في أماكن ليس فيها هذا الكم من السلاح الموجه نحو الرؤوس، لنفتش عنها في مطابخ ليس فيها هذا الكم من السُم المدسوس، لنفتش عنها في وفرة القناعة، وفي مساحات المعرفة، وفي عالم الإيمان حيث لا مكان للظلم أو للجريمة.